﴿فقد جاء أشراطها﴾

خطبة جمعة

لفضيلة الشيخ الدكتور
مطلق الجاسر
- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فإن من أعظم أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، ولطالما قرن الله ﷻ الإيمان به سبحانه بالإيمان باليوم الآخر في غير ما آية في كتابه ﷻ.

وكذلك طالما قرن النبي ﷺ بين الإيمان بالله واليوم الآخر في غير ما حديث من الأحاديث الواردة عنه ﷺ، وذلك لما في هذا الإيمان من أهمية عظيمة، لا يستقيم إيمانك بالله ﷻ حتى يستقيم إيمانك باليوم الآخر.

ومن أهم المسائل التي أخذت حيزا كبيرا من سنة النبي ﷺ فيما يتعلق باليوم الآخر مسألة أشراط الساعة، تلك الأشراط التي تحدث عنها النبي ﷺ حديثا مستفيضا، وأخبر صحابته الكرام في خطب مطولة عما سيكون بين يدي الساعة، كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ صلى بهم صلاة الفجر ثم رقي المنبر فحدثهم حديثا طويلا فيما سيكون بين يدي الساعة، حتى أذن الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فحدثهم حديثا طويلا حتى أذن العصر، ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فحدثهم حديثا طويلا حتى غابت الشمس.

يقول الصحابي: فأحفظنا أعلمنا، كما أن النبي ﷺ أخبر عن أمور كثيرة ستقع بين يدي الساعة منها ما وقع فعلا ومنها ما لم يقع بعد، ومنها ما وقع ولا زال مستمرا في الوقوع، لذلك في هذه الخطبة بمشيئة الله ﷻ وما تتلوها من خطب سنتناول ما ييسر الله ﷻ من هذه الأشراط التي حدثنا عنها النبي ﷺ.

والأشراط جمع شرَط، والشرط هو العلامة أو الآية، ومنه الشرطي الذي يعرف بعلامته وبشارته، أي علامات الساعة، وقد قال الله ﷻ: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُم ﴾ [محمد:١٨]. أي علاماتها ومقدماتها.

حدثنا النبي ﷺ بأحاديث كثيرة عما يكون بين يدي الساعة، روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث عوف بن مالك ﷺ قال: كنا عند النبي ﷺ في تبوك، في قبة له من أدم، فقال النبي ﷺ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلاَّ دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَغْزُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا».

هذه الأشراط الستة التي حدثنا عنها النبي ﷺ منها ما وقع ومنها ما لم يقع بعد، ومعرفتنا لأشراط الساعة وبما أخبرنا عنه النبي ﷺ من دلائل نبوته التي تؤيد صدقه ﷺ وما أكثرها، ومن أعظم هذه الدلائل إخباره عن المغيبات المستقبلية التي منها أشراط الساعة ثم وقوعها كما أخبر ﷺ.

وهو لا يعلم الغيب ﷺ، فمعنى وقوعها بعد أن حدثنا عنها كما حدثنا يدل على أنه يوحى إليه من الله ﷻ. اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، من أول علامات الساعة موت النبي ﷺ، وقد حدثنا النبي ﷺ أيضًا أنه وحياته وبعثته قريب من يوم القيامة كما في صحيح البخاري أيضًا، يقول ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ، أَوْ كَهَاتَيْنِ وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى».

وقد اختلف العلماء في معنى الإشارة، قال بعضهم: كهاتين: أي كما يتلو السبابة الوسطى، وقال بعضهم: بل كالفرق بين طول السبابة وطول الوسطى، وعلى كلا المعنيين فبعثة النبي ﷺ قريبة جدا من يوم القيامة.

وجاء أيضًا عنه ﷺ كما في مسند أحمد وغيره قال ﷺ: «بعثت في نسم الساعة»، النسم هو بداية الريح قبل هبوب العاصفة يكون لها نسم قبل انطلاقها، يشير ﷺ إلى أن بداية نسم الساعة هو بعثة النبي ﷺ، وكما تعلمون أن ألف وأربعمائة سنة في عمر التاريخ لا شيء، في عمر الكرة الأرضية وتاريخ البشرية لا شيء، لذلك تحذير النبي ﷺ لنا أنه قد بعث في قرب قيام الساعة أمر معقول جدا في حساب التاريخ. فأول هذه العلامات موته ﷺ.

قال: ثم فتح بيت المقدس، وقد وقع كما أخبر ﷺ بعد وفاته بخمس سنوات فقط، في السنة السادسة عشر من الهجرة فتحها عمر بن الخطاب ﷺ كما هو معلوم، ودخلها فاتحا منتصرا متواضعا، وقد مر ﷺ على بغلته وهو ذاهب إلى بيت المقدس وقد دنا من بيت المقدس فمر على مخاضة ماء، يعني مثل القليل من الماء في الأرض، مثل الخضرة، فنزل ﷺ وأخذ نعليه ووضعهما على كتفيه وشمر عن ثوبه ثم خاض هذا الماء بقدميه حافيتين، فقال له أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، لو يراك الناس هكذا، يعني أنت داخل الآن على رأس جيش منتصر فاتح لمدينة من أعظم المدن، لو يراك الناس هكذا؟

فقال عمر ﷺ: لو كان غيرك قالها يا أبا عبيدة، أي ليس أنت من يقول هذا الكلام، ثم قال ﷺ: نحن قوم أذلة قد أعزنا الله بالإسلام، فمتى ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله.

فتحها عمر ﷺ ودخل إلى المسجد الأقصا، إلى بيت المقدس، ثم اختار مقدمته ليكون مسجدا وهو المسجد اليوم الذي يصلي فيه المسلمون، فقد استشار كعب الأحبار رحمه الله فقال له: اجعل مسجدك خلف الصخرة، فقال: لا، وإنما في المكان الذي صلى فيه النبي ﷺ، وهو المسجد اليوم الذي يصلي فيه المسلمون ويحاول اليهود أعداء الله أن يهدموه.

ثم قال ﷺ: ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، الموتان بضم الميم: أي موت عظيم، وباء عظيم، يأخذ فيكم كقعاص الغنم، أي كما يأتي الوباء على الغنم فيبيدها، وقد وقع ذلك أيضًا بعد فتح بيت المقدس بسنتين، أي في السنة الثامنة عشر من الهجرة بما يعرف بطاعون عمواس، هذا الطاعون أي الوباء العظيم الذي ضرب شمال الجزيرة العربية والشام، ومات من جرائه ما يزيد عن خمسة وعشرين ألفا، منهم أبو عبيدة بن الجراح ﷺ وجمع من كبار الصحابة وعدد كبير من المسلمين.

ثم قال ﷺ: ثم استفاضة المال، أي انتشار المال، وقد كان الحال كما تعلمون في عصر النبي ﷺ حال من الشدة والفقر في غالب أحوال الناس، والأغنياء معدودون على الأصابع، ثم فتحت الدنيا بعد ذلك كما أخبر عنها النبي ﷺ.

قال ﷺ: ثم استفاضة المال، أي انتشار بين الناس، حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا، لا يعجبه ولا يرضيه ولا يطفئ طمعه مائة من الدنانير الذهبية، وهذا الأمر لا شك أنه قد وقع ولا زال يقع ويتكرر بين الزمان والآخر.

ثم قال ﷺ: ثم فتنة لا تبقي بيتا من العرب إلا دخلته، وهذه الفتنة لم يبينها النبي ﷺ في هذا الحديث، لكن أغلب شراح الحديث أشاروا إلى أنها ليست فتنة واحدة، وإنما هي سلسلة من الفتن بدأت بمقتل عمر بن الخطاب ﷺ.

وقد جاء في صحيح البخاري أيضًا أن عمر بن الخطاب ﷺ سأل حذيفة بن اليمان ﷺ وهو بالمناسبة كان من الصحابة الحريصين على معرفة أشراط الساعة، فقد كان يقول ﷺ: كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فكان يعرف جملة كبيرة جدا من أحاديث أشراط الساعة.

فسأله عمر ﷺ قال: يا حذيفة هل عندك شيء من خبر الفتنة؟ فقال حذيفة ﷺ: ما لك ولها يا أمير المؤمنين؟ قال: حدثنا، فقال ﷺ: فتنة الرجل في أهله وماله تكفرها الصلاة والصدقة والصيام، فقال عمر ﷺ: ليس عن هذا أسألك، وإنما أسألك عما يكون بين يدي الساعة، فقال حذيفة ﷺ: ما لك ولها يا أمير المؤمنين؟ إن بينك وبينها بابا، يعني أنت بعيد عنها، فقال عمر ﷺ: أيفتح الباب أم يكسر؟ فقال حذيفة ﷺ: بل يكسر، فسكت عمر ﷺ وعرف المقصود، فإن المقصود بالباب هو عمر ﷺ، والمقصود بكسره هو موته.

فلما مات وقتل عمر على يدي أبي لؤلؤة المجوسي عليه من الله ما يستحق فتح، بل كسر باب الفتنة على مصراعيه وحصل كما أخبر بذلك النبي ﷺ وكما سنعرفه إن شاء الله.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: بدأت الفتن في هذه الأمة كما أخبرنا بذلك النبي ﷺ وذلك بمقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، قد تولى بعده أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وبدأت إرهاصات فتنة في عهده في أمور يطول تفصيلها، حتى خُتمت بمقتله ﷺ، وهذا أيضًا مما أخبر به النبي ﷺ.

فقد جاء في الصحيح أن النبي ﷺ كان جالسا في بيته فاستأذن عليه أبو بكر فأذن له، ثم استأذن عليه عمر ﷺ فأذن له، ثم استأذن عليه عثمان ﷺ فقال: ائذنوا له على بلوى تصيبه، أي تنبأ وأخبر النبي ﷺ ببلوى ستصيب عثمان ﷺ، قتل عثمان ثم فتح باب الفتنة كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

والفتنة يعني الفساد والشر بين المسلمين الصالحين، فقد انقسم المسلمون إلى فئتين، وكل فئة تقاتل أخرى، ودخل بينهم المغرضون المفسدون، قتل عثمان ﷺ، ثم بعد ذلك حدثت معركة الجمل في السنة السادسة والثلاثين من الهجرة، وبعدها بسنة حدثت معركة صفين في السنة السادسة والثلاثين من الهجرة، ثم بعد معركة صفين خرجت فرقة من أشد فرق أهل البدع شرا وسوء وهي فرقة الخوارج الذين خرجوا من جيش علي ﷺ بعد انتهاء معركة صفين، وانفصلوا عن جيشه وذهبوا إلى مدينة في العراق تسمى حروراء وسموا بالحرورية.

ثم بدأوا بقتال علي ﷺ حتى السنة الثامنة والثلاثين بعد معركة صفين حدثت المعركة الكبرى بينه وبينهم التي سميت بمعركة النهروان التي هزم أمير المؤمنين علي ﷺ تلك الفئة الباغية، وقد حدثنا أيضًا النبي ﷺ عن هذه الفرقة، وهذه من دلائل نبوته ﷺ.

قال ﷺ: «**يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ وعبادتكم إلى عباداتهم يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يمرق السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ فإذا وجدتموهم فاقتلوهم**»، تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ: يعني من شدة خشوعهم في الصلاة، ومن شدة حرصهم عليها، حتى لأنك لتحتقر صلاتك عنده وتحتقر قراءتك عنده وتحتقر عبادتك عنده، لكنه يغلون في دين الله ويقاتلون المسلمين.

حتى إنهم أخذوا الصحابي الجليل من صغار الصحابة، الصحابي ابن الصحابي عبد الله بن خباب بن الأرت ﷺ وهو وعبد الله بن الزبير من أوائل من ولد في المدينة، والنبي ﷺ هو الذي سماه بعبد الله، أخذوه، وكان هذا هو السبب الحقيقي لمعركة النهروان، وكان مع زوجته وكانت حاملا، فمر على هؤلاء الخوارج فقتلوه وبقروا بطن زوجته وقتلوا ولده، فسألهم علي: من الذي قتله؟ قالوا: كلنا قتله، لذلك جيش عليهم أمير المؤمنين ﷺ هذا الجيش وخاض معهم هذه المعركة.

وحدَّث النبي ﷺ عن صفاتهم، قال: تجدون معهم رجلا يده كثدي المرأة، وفعلا وجدوه مقتولا في النهروان وكان يعرف بذي الثدية، كل هذه الدلائل وغيرها كثير حدث النبي ﷺ صحابته بها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه نبي يوحى إليه من الله، وأنه يعلم ما أخبره به ربه ﷻ.

وبإذن الله ﷻ في الخطب القادمة سنستكمل ما صح وثبت عن النبي ﷺ في أشراط الساعة، أسأل الله ﷻ أن يبعدنا وإياكم عن الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبا إلا غفرته ولا عيبا إلا سترته ولا هما إلا فرجته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخر إلا قضيتها ويسرتها وأتممتها يا رب العالمين.

اللهم فرج هم المهمومين، ونفس كرب المكروبين واقض الدين عن المدينين واشف مرضانا ومرضى المسلمين وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم أمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ووفق للحق إمامنا وولي أمرنا يا رب العالمين.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.